الفتح والإمالة في كتاب (جمال القُرّاء وكمال الإقراء) لعلم الدين السّخاويّ (ت٦٤٣هـ)

الاستاذ الدكتور عبدعليّ حسن ناعور

abedali.alrammahi@uokufa.edu.iq

الباحثة شهرزاد عليّ محمّد

aa2956517@gmail.com

جامعة الكوفة - كلية الآداب

Fath and Tilt in a book (The Beauty of the Reciter and the Perfection of Al-Iqra) To Alam al-Din al-Sakhawi (d.643 AH)

Shahrazad Ali Muhammad: The researcher

Prof. Abd Ali Hassan Naour

الخلاصة :

هدف البحث إلى عرض ظاهرتي الفتح والإمالة في كتاب (جمال القرّاء وكمال الإقراء) لعلم الدين السّخاويّ, وتحليها تحليلًا علميًا, وبيان قدرة علم الدين في طرحه لهذين الظاهرتين, ومدى قدرته على الغوص فيهما, ذلك بدراسة آرائه فيهما ومخالفاته للعلماء السابقين, وقد درس البحث ما يتعلق بهاتين الظاهرتين على وفق ما جاء في الكتاب, وخلص البحث إلى مجموعة نتائج أهمها أنه لم يفرق بين الفتح والإمالة من حيث الأصالة والأولوية.

الكلمات المفتاحية : الفتح – الإمالة – كتاب (جمال القرّاء وكمال الإقراء).

Abstract:

The aim of the research is to present the phenomena of Fath and Al-Emlaa in the book (The Beauty of the Reciters and the Perfection of Al-Iqra) To Alam al-Din al-Sakhawi (d.643 AH), and to analyze them scientifically, and to demonstrate the ability of the science of religion in proposing these two phenomena, and the extent of his ability to delve into them, by studying his views on them and his contradictions to previous scholars, and the research has studied what is related to these two phenomena According to what was stated in the book, and the research concluded with a set of results, the most important of which is the priority and originality of the conquest, and that tilting is an urgent phoneme .

key words Al-Fath - Al-Emlaa - book (The Beauty of the Reciters and the Perfection of Al-Iqra)

تقديم

لقد عُني علماء اللغة ولاسيما علماء القراءات القرآنية بالفتح والإمالة, لدقة مباحثهما, إذ أنها تمثل أداء للهجات مختلفة يتخذونها وجهًا للأداء القرآني. فقد وسع ميدانهما وأُلفت فيهما الكتب, ويعدّ علم الدين السخاويّ أحد العلماء الذين اهتموا بهذا الموضوع فقد أخذ حيزًا في كتابه مبيّنًا مفهومهما وفائدتهما, مؤكدًا على الفرق بينهما, ثم ذكر الإمالة في الأسماء والأفعال.

مفهوم الفتح والإمالة

الفتح "عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف لا فتح الحرف، إذا الألف لا تقبل الحركة، ويقال له التفخيم وربما قيل له النصب"[١], وهو عكس الإمالة.

والميل في اللغة يعني: العدول إلى الشيء والإقبال عليه، والميل: مصدر يميل, يُقال: مال الشيء يميل ميلاً وممالاً وتميالاً[٢].

أما في الاصطلاح فهي "أنْ تنحو بالألف نحو الياء ولا يكون ذلك إلّا لعلّة"[٣], وبالفتحة نحو الكسرة, أرادوا بذلك أن يقربوها منها، لأنَ الألف قد تشبه الياء، وذلك قولك: عابد, وعالم, ومساجد, ومفاتيح[٤].

وعرّفها مكي(ت٤٣٧هـ) بقوله: "هو أن تقرب الألف نحو الياء لياء قبلها أو لكسرة قبلها أو بعدها في اللفظ أو في المعنى أو لأن أصلها الياء أو لشبهها ما أصله الياء"[٥].

و تعريف كلّ من ابن يعيش ومكي تعريفان جامعان شاملان للإمالة بأنواعِها, وكذلك أنها تتفق مع الحقيقة التي قررها القدماء وارتضاها المحدثون, فالألف عندهم يراد بها الفتحة القصيرة والطويلة,

والياء عند مكي وابن يعيش يراد بها الكسرة القصيرة والطويلة كذلك(٦).

وأطلق على الإمالة أسماء أخرى هي: الكسر والتلطيف والتقليل وبين بين, "والبطح والإضجاع, وعبر عنها سيبويه بالإجناح, وهذا كلّه حسن مستعمل"(٧).

اهتم المحدثون بالإمالة و درسوها وبيّنوا أقسامها وفائدتها وأسبابها بآليات أحدث من الدراسة القديمة, إذ تناولوا حدوثها صوتيًا ولم يتبعوا آراء من سبقهم في الإمالة, وقد نقوها واختاروا ما يتواءم والدراسة الحديثة, إذ إنَّهم ارتضوا ببعضها وردّوا بعضها الآخر وغلطوها لأسباب لم تتوافق ودراستهم، كما فعل شلبي في ارتضائه تعريف ابن يعيش وابن مكي؛ وخطّأ السيوطيّ في قوله: "أن تنحو جوازًا بالألف" الذي فسره: أن ينحى بالألف نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة, وهذا مالم يرتضه المحدثون لأنه لم يشمل بتعريفه سوى(هدى) ونحوه(٨).

ويعرّفهما إبراهيم أنيس بأنهما "صوتان من أصوات اللين, سواء كانا قصيرين أو طويلين"(٩).

وذهب سمير ستيتيه إلى أنَّها: "حركة واقعة من أعلى وأدنى حركة سواء أكانت الحركة أمامية أم خلفية فأعلى حركة أمامية هي الكسرة وأدنى حركة هي الفتحة المرققة وأي حركة واقعة بين الكسرة والفتحة المرققة أو بين ياء المد والألف المرققة هي حركة ممالة"(١٠).

وضّح علم الدين حدوث هذه الظاهرة بتعليله إمالة الألف إذا جاء بعدها كسر بأنها "صوت لا معتمد لها في الفم، فلا تكون أبدا إلا تابعة

للحركة التي قبلها وتدبرها، فلذلك إذا أُريد أن تقربها من الياء بالإمالة تخفيفاً أو تسهيلًا لزم أن تقرب الفتحة التي قبلها من الكسرة من الياء فتقوى بذلك على إمالة الألف بعدها"[١١].

والإمالة ظاهرة صوتية نطقية لا تُبان في الكتابة, لقد حظيت باهتمام علماء العربية ولاسيما علماء القراءات, وشغلت حيزًا كبيرًا في مؤلفاتهم بوصفها ظاهرة مختصة بالأداء القرآني, ولهجة انتشرت في بعض القبائل العربية, ولا يقتصر الاهتمام بها عند القدامى فقط, بل حظيت باهتمام المحدثين أيضًا بوصفها نوعًا من المماثلة.

الفرق بين الفتح والإمالة

هناك فوارق مختلف فيها بين الفتح والإمالة فصّل فيها علم الدين, من أهمها مايأتي:

الأصالة: اختلف العلماء في أيهما أصل وأيهما طارئ, فذهب صاحب الكشف إلى أنَّ أصل الكلام كلّه الفتح, والإمالة تدخل في بعضه لعلّة في بعض اللغات, "والدليل على ذلك أنَّ جميع الكلام, الفتح فيه سائغ جائز, وليست الإمالة بداخلة إلا في بعضه, فالأصل ما عمّ وهو الفتح"[١٢], وبهذا تابع أبي عمرو, وقد بيّن أبو عمرو أدلة أصالة الفتح عند العلماء وفرعية الإمالة, وذكرها علم الدين نقلاً عنه في كتابه, وهي مايأتي[١٣] :

- إنَّ كلّ حرف يمال جائز أن يفتح ابتداء, ولا تجوز إمالته إلا عند وجود سبب يدعو لذلك, كالياء والكسرة.
- الأصل أن يخرج الحرف من موضعه خالصاً غير مختلط بغيره والإمالة تجعل الحرف بين حرفين.

- اطلاق النحويين القول بجواز رسم ما كان من ذوات الياء بالألف التي الفتح منها وإنْ لم يقع فيه إشكال.
- إنَّ الكاتب إذا أشكل عليه الحرف فلم يدرِ أمن ذوات الياء هو أو من ذوات الواو رسمه بالألف لا غير.
- رسم الصحابة في المصاحف (الصلاة, والزكاة, والحياة, والنجاة) بالواو, وهذا ما توهم به النحويون فإنهم رسموها على لغة أهل الحجاز بشدة تفخيمهم.

" ودلّ هذا كله على أنَّ الأصل هو الفتح, وإنما عدل عنه من اختار الإمالة من القُرّاء والعرب, رغبة في أن يتناسب الصوت بمكانها ولا يختلف فيخف على اللسان, ويسهل في النطق"(١٤).

وردّ علم الدين قائلاً: "أما القرّاء فما قرأ أحد منهم بالإمالة لما ذكره, وإنما قرأ بها من قرأ لما رواه ونقله, ألا ترى أنهم يميلون الشيء في موضع ويفتحونه بعينه في موضع آخر"(١٥).

خالف إبراهيم أنيس كلّ ما سبقه من قرّاءٍ ونحاةٍ في أصالة الإمالة, فقال: "الصوت المركب تطور من e إلى a تلك المراحل التي تبررها القوانين الصوتية, والتي لها نظائر في اللغات الأُخرى ولذلك إنَّا نستطيع أن نرجح بعض الكلمات العربية التي اشتملت على ياء أصلية قد تطورت أولاً إلى الإمالة ثم إلى الفتح ، فالأصل في مثل هذه الكلمات هو الإمالة، وقد تفرع الفتح عنها"(١٦), ولم يسبقه أحد إلى هذا.

الأولوية: ولم يتفق العلماء على أيهما أولى وأوجه, فقد اختار بعضهم الإمالة الوسطى, لأنَّ في ذلك إعلاماً بأن أصل الألف ياء, والتنبيه على انقلاب الألف إلى الياء، وموافقتها للرسم، وذلك أن

عامة الحروف المختلف فيها مرسومة فيه بالياء والإمالة منها وأن المعنى لا يتغير بذلك[١٧].

وهناك من ذهب إلى أن الفتح أوْلى لأصالته, ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) إذ احتج بالحديث النبوي [نزل القرآن بالتفخيم] وردً من احتج بالخطّ للإمالة بقوله: "واحتجوا في الإضجاع أيضًا بالخطّ .. والذي عندنا في ذلك أنَّه يلزم مَنْ أضجع اتباعًا للخطّ أنْ يضجع (عليّ) و(إليّ) و(لديّ) لأنهن جميعا كُتِبن بالياء وليس أحد يتكلم بهن بالإضجاع"[١٨].

أما الدانيّ فلم يوافق أبا عبيد في اختياره الفتح وتغليبه على الإمالة, ذلك بقوله: "أما ما احتج به أبو عبيد رحمه الله, وفي اختياره الفتح, وتعليله إياه بذلك على الإمالة, فلا يلزم مَن خالفَه, إذ ليس بدليل قاطع لاحتماله من وجوه الصواب ... ذلك أن الحديث الذي فيه: "نزل القرآن بالتفخيم" لا يدل ظاهِرُهُ على أنَّ التفخيم أحسن الوجوه كما ذهب إليه, وإنما يدلّ على أن القرآن نزل بذلك ليعلم صحته, وجوازه, وإباحة القراءة به , والكلّ قائل بذلك, ومستعمل له غير مخالف فيه ولا رادّ له"[١٩].

كان موقف علم الدين موقفًا معارضًا من الذين ميّزوا بين الفتح والإمالة, واختاروا واحدة من هذه الظواهر وفضلوا إحداهن على الآخر, وذهب إلى أنَّ العلماء معترفون بأنَّ الإمالة من وجوه القراءات السبع التي نزل بها وكذلك التفخيم والإمالة المتوسطة؛ ولهذا فإن ما ذكره الأئمة في الاختلاف من اختيار أحد المذاهب سهو منهم, فكيف يصح أولوية أحدهم وقد دلّت الأخبار الصحيحة على أنَّ الإمالة نطق بها الرسول الله (ﷺ), والإمالة المحضة والمتوسطة والتفخيم كلّ ذلك لسانه[٢٠] (ﷺ).

ظل العلماء على اختلافهم الذي لم يؤدِ الى نتيجة معينة فكلٌ لديه دلائله في ترجيحه مذهبًا ما, ولم يتفقوا على أحد المذاهب ليتبعهم من جاء بعدهم، أما علم الدين فقد ساوى بين المذهبين ولم يفرق بينهما, فإنه ذهب إلى تساوي اللغتين ولا وجه لاختيار شيء وتفضيله على الآخر, وبهذا تابع من ذهب إلى أن الألف والياء في القراءة سواء. وقد نرى أَصالة الفتح وأولويته, وأَنَّ الإمالة طارئة عليه؛ لأنَّ الإمالة تحدث لعلل معينة في مواضع ليس بكثيرة ويجوز فيها الفتح.

أقسامهما

قسّم العلماء الفتح على قسمين: فتح شديد وفتح متوسط.

فالشديد "هو نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف ويسمى التفخيم، والقرّاء يعدلون عنه ولا يستعملونه"(٢١)، وهو ما يتلفظ بها العجم ولا تجوز القراءة به(٢٢).

ورجح علم الدين القول بإبدال كلمة (القارئ) بـ(المتكلم) في تعريف أبي عمرو إذ قال:" لو أبدل لفظة القارئ بالمتكلم كان أشد"(٢٣), ربما لأنَّ لفظة المتكلم أعم من لفظة القارئ.

أما الفتح المتوسط فهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة(٢٤).

وكذلك الإمالة قُسمت على قسمين, هما: إمالة متوسطة وإمالة شديدة.

فالمتوسطة "هي أن يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة, أما الإمالة الشديدة فهي تقرب الفتحة من الكسرة, والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ"(٢٥).

فائدة الإمالة

لم تنشأ ظاهرة من الظواهر إلا لفائدة تجعلها تنتشر وتعتمد, فكيف لظاهرة الإمالة التي اعتمدها القرّاء وعلماء العربية, هذا ما يؤدي إلى

أنها ظاهره ذات أهمية كبيرة ولها فوائد عظيمة فغرضها الأساس هو التناسب وقد ترد للتنبيه على أصل أو غيره[٢٦]، فضلاً عن "سهولة اللفظ وذلك أنَّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة, والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع فلهذا أمال من أمال"[٢٧].

علل الإمالة

للإمالة عللٌ توجبها اختُلف فيها, فقد ذهب مكي إلى أنها ثلاث علل, هي: الكسرة, والإمالة للدلالة على الأصل, والإمالة للإمالة[٢٨], وقد أرجعها ابن الجزريّ(ت٨٣٣هـ) إلى سببين أساسيين ذلك في قوله: "هي عشرة ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة, والثاني الياء, وكلّ منهما يكون متقدمًا على محل الإمالة من الكلمة, ويكون متأخرًا و يكون أيضًا مقدراً في محل الإمالة, وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين محل الإمالة, ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة. وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل الإمالة, وقد تمال الألف تشبيهًا بالألف الممالة, وتمال أيضا بسبب كثره الاستعمال وللفرق بين الاسم والحرف"[٢٩], وإلى مثله ذهب ابن الصبّان(ت١٢٠٦هـ), وقال بقوة الياء لأنَّه يتسفل بها أكثر من تسفله في الياء وكذلك أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة ولا يميلونها للياء[٣٠].

وإنّ أصل أسباب الإمالة هما (الكسرة والياء), وكلّ ما جاء به العلماء من أسباب إنما هي متفرعة منهما.

موانع الإمالة

تمنع بعض الحروف الإمالة إذا جاءت قبل الألف بحرف أو حرفين من هذه الحروف, وهي (الضاد والصاد والطاء والظاء والقاف والخاء

والغين)؛ لأنَّها "مستعلية إلى الحنك الأعلى, والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى, فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها نحو: قاعد, غالب، حامد، قاعد، طائف، ضامن، ظالم"(٣١). فوجب الفتح مع هذه الحروف لأنها منفتحة المخارج(٣٢).

أما الراء فإذا جاءت مكسورة يجوز فيها الإمالة أما إذا كانت مفتوحة أو مضمومة فتمتنع الإمالة؛ لشبهها بالمستعلية لأَنَّها مكررة فعند النطق بها فكأنك تتكلم براءين مفتوحتين(٣٣).

قال أبو حيان(ت٧٤٥هـ): "وتَغْلِب الكسرة الراء المفتوحة تَليها الألف نحو: رَاشِد، وفِرَاش، أو تلي الألف مفتوحة نحو: رَأيتُ حِماراً، أو مضمومة نحو: هذا حِمارٌ, فلو كان بينهما حرف نحو: هذا كافرٌ, أو حرفان نحو: هذه دنانير، كذلك عند بعضهم, وبعض العرب لا يلتفت إلى الراء فيميل, فإن كانت الراء التي تلي الألف مكسورة كفت ما يمنع من الإمالة سواء كان حرف استعلاء نحو: غارم، أو راء نحو: من غَرَارِك ،فإنْ فُصِل بينهما بحرف لم يَغْلِبْ"(٣٤), فغلبت الراء المكسورة الراء المفتوحة ذلك لأنها الصوت المستعلي أقوى منها.

ونقل علم الدين عن أبي عليّ الفارسيّ(ت٣٧٧هـ) في إمالة الراءما يأتي: "وقال في الراء: فإن قلت: هلا امتنعت الإمالة في "راء" لشبه الراء بالمستعلي، قيل: كما لم تمتنع الإمالة في خاف وطاب وضاق، ومع المستعلي لما أريد من طلب الكسرة في خِفت, وطبت"(٣٥)

الإمالة في الأسماء

هناك أسماء كثيرة تحصل فيها إمالة, ومتفق عليها عند العلماء, لكن تقابلها بعض الأسماء المختلف في إمالتها.

فقد ذكر علم الدين في كتابه الأسماء التي تفرد بإمالتها الراوي قتيبة بن مهران عن الكسائي, وهذه الأسماء, هي:

١- الإمالة في لفظ الجلالة(الله)

يُمال اسم لفظ الجلالة (الله) عند دخول حرف الجرّ (اللام) عليه, ولم يُمَلْ إذا دخل عليه حرف آخر؛ ذلك لاختلاطها به في الخطِّ من دون حائل, فضلاً عن مماثلتها اللام التي هي فاؤه والمدغمة فيها في الخطّ والنطق(٣٦).

وأرجع أبو عمرو الدانيّ الإمالة في اسمه تعالى إلى أنها "من أجل ما قد اكتنف من كسرة اللام في أوله وكسرة الهاء في آخره, وأن أصل ألفه الياء, إذ أصله "لاه" وكان "ليها" فلما تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت الفاً, وهو أحد قولي سيبويه في اسم الله عز وجل"(٣٧).

وأضفى علم الدين رأيه على ما نقل عن أبي عمرو, قائلاً: " والذي ذكره أبو عمرو رحمه الله في اللام يبطل في الباء, فإن الاسم به معها قد اكتنفه كسرتان, وقد اختلط به خطّاً دون حائل, على أن اللام باشرت الاسم والباء باشرت الألف وهي زائدة على أنَّ الاختلاط خطّاً ليس الموجب للإمالة. وأما مماثلتها اللام في اللفظ فليس ذلك مما يوجب الإمالة, لأنَّ الموجب للإمالة إنما هو الكسرة لا اللام, وأجود من هذا أن يقال: إنما خصّ الإمالة لأنَّ دخولها عليها أكثر من دخول الباء"(٣٨).

وبهذا نفى علم الدين علل أبي عمرو ومسوغاته في إمالة لفظ الجلالة, وأرجع موجب الإمالة إلى الكسرة وليس إلى اللام.

٢- إمالة ألف الجمع

تُمال ألف الجمع من أجل الكسرة التي بعدها والياء , نحو قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ﴿الأعراف: ١١﴾ و ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ ﴿البقرة:

٤٣, و ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ﴿الأعراف: ٨٣﴾ ﴿بِخَٰرِجِينَ﴾ ﴿البقرة: ١٦٧﴾, ومن أمال في الآيات المباركة لم يولِ أهمية أحرف الاستعلاء التي جاءت قبل الألف لأنَّ الانحدار بعد الصعود مستحق[٣٩].

ونرى ضعف الإمالة في هذه المواضع المباركة؛ لوجود حروف الاستعلاء مما يوجب قراءتها على الأصل.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَاهُم بِخَٰرِجِينَ﴾ ﴿البقرة: ١٦٧﴾, "ما قوي الإمالة على حرف الاستعلاء؛ هو الراء المكسورة بعد الألف, وكسرتها ككسرتين وبعدها كسرة أخرى وبعدها ياء, مع أن حرف الاستعلاء قبلها الباء مكسورة "[٤٠].

٣- الإمالة أسماء أخرى

ذكر علم الدين بعض ما أمالوه من أجل الكسرة ومنه فتحة النون في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ ﴿البقرة: ١٥٦ فقد أمالوها إتباعاً لإمالة اسم لفظ الجلالة الله لكسرة الهمزة. ودليل الاتباع أنه لم يُملها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾, هذا ما رواه قتيبة عن الكسائي, وقد روي آخرين إمالة النون والألف, والإمالة هنا من أجل الكسرة، أما الفتح فهو الأصل[٤١].

والإمالة في قوله تعالى: ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ ﴿إبراهيم: ٥٠﴾, من أجل كسرة الطاء والنون, أما في قوله تعالى: ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ ﴿قريش:٢﴾ فالإمالة من أجل الجر والكسرة، وفي قولة تعالى: ﴿شَانِئَكَ﴾ ﴿الكوثر: ٣ ﴾ من أجل كسرة النون, وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ ﴿الناس: ٤ ﴾ من أجل كسرة السين[٤٢].

الإمالة في الحروف

تحسن الإمالة في الأسماء والأفعال لأنها متمكنة, أما الحروف فلا تحسن فيها لأنَّها غير متمكنة, إذ الأصل فيها عدم الإمالة, وإنَّ القياس يأبى الإمالة في الحروف؛ لأنَّها أدوات جامدة غير متصرفة, والإمالة ضرب من التصرف(٤٣). ولقد اختلف في إمالة بعض الحروف وعدمها, فقد وضّحه علم الديم من خلال ذكره لبعض الحروف الممالة, وارتأينا أن تقسم الإمالة لهذه الحروف كالآتي:

أ- إمالة حروف الهجاء في فواتح السور

ذهب الجزريّ إلى أنها خمسة في سبع عشرة سورة, هي:

(الراء) من ﴿الٓر﴾أول سورة يونس, وسورة هود, وسورة يوسف, وسورة إبراهيم, وسورة الحجر. والراء من "المر" أول سورة الرعد.

(الهاء) من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و ﴿طه﴾.

(الياء) من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿يٰسٓ﴾.

(الطاء) من ﴿طه﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ من سورة الشعراء, وسورة القصص, و ﴿طسٓ﴾ من سورة النمل.

(الحاء) من ﴿حمٓ﴾ في السور السبع(٤٤): سورة غافر, وسورة فصلت, وسورة الشورى, وسورة الزخرف, وسورة الدخان, وسورة الجاثية, وسورة الأحقاف.

وقد تمال فواتح السور لأنّ "الألف التي للهجاء(را) في تقدير ما أصله الياء, لأنها أسماء ما يكتب بها, ففرق بينها وبين الحروف التي لا تجوز إمالتها نحو ((ما, ولا, وإلا))هذا مذهب سيبويه في إمالة هذه

الحروف التي في أوائل السور فإنَّ سميّت بشيء من هذه الحروف جازت الإمالة"[٤٥] .

أما علم الدين فجوز إمالتها وأرجع السبب إلى أنَّها أسماء أصوات[٤٦], وبه تابع أبا عليّ الفارسيّ بقوله: "... لأنها أسماء لما يلفظ بها من الأصوات المنقطعة في مخارج الحروف كما كان في "غاق" اسما لصوت الغراب, و"طيخ" اسما لصوت الضاحك ولم يكن كالحروف التي تمنع فيها الإمالة نحو(ما) و(لا) ونحوها من الحروف"[٤٧].

•إمالة (حتى)

اختلف في (حتى) من حيث الإمالة والفتح, فقد ذهب سيبويه إلى عدم جواز إمالتها كما جاء بقوله: "ومما لا يميلون ألفه: وحتى, وأما, وإلا, فرّقوا بينهما وبين ألفات الأسماء نحو حُبلى وعَطشى, وقال الخليل: لو سميت رجلاً بها جازت فيها الإمالة"[٤٨].

والخليل منع أمالتها لحرفيتها فإنه "يريد أن الحروف غير متصرفة ولا تلحقها تثنية ولا جمع ولا تغيير فلا تصير ألفاتها ياءات"[٤٩].

واحتج أبو عمرو لإمالتها من وجهين[٥٠], هما:

أحدهما: أن الألف وقعت رابعة وهو موضع يختص بالياء فلذلك أُميلت, ألا ترى أن كلّ ألف وقعت رابعة فصاعداً من أي جنس كانت فإنها تكتب بالياء ويجوز فيها الإمالة, فلذلك أمالها على التشبيه بما قد أُميلت ألفه الواقعة في هذا الموضع من الأسماء والأفعال, ومن أجل ذلك كتبت بالياء أيضا.

والثاني: شبهها بألف (شتى) من حيث كانت آخر الكلمة ولم تكن بدلًا من ياء, فلذلك أُميلت وكتبت بالياء على التشبيه بألف هذا الاسم

المقصور, ألا ترى أن من كلامهم أن يحملوا الشيء على حكم الشيء إذا أشبهه في بعض معانيه ووجوهه.

أنكر علم الدين الوجه الثاني لعدم وجود شبه بين (حتى) و(شتى) وأنهما مختلفتان, وذلك بقوله: " شتى جمع شتيت, كمريض ومرضى, قال الله عز وجل: ﴿وقلوبهم شتَّى﴾ [الحشر: ١٤], أي: متفرقة مختلفة, وقال عز وجل: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ [الليل:٤] والسعي بمعنى المساعي"(٥١).

- **إمالة (مهما)**

هناك خلاف كبير في (مهما) من حيث الاسمية والفعلية, ومن حيث البساطة والتركيب، فعرض علم الدين أصلين لها, وركّز على رأي أبي عمرو الدانيّ في هذين الأصلين, مبيّنا رأيه فيما نقل عنه من حيث القبول والرفض مدلاً على ما يقول, و الأصلين هما:

الأول: أن تتكون من (مه) بمعنى (اكفف) وهو اسم فعل, و(ما) للشرط, وهذا دلّ على أنَّ (ما) اسم تام وليست بحرف, وتمّ وصل (مه) بـ(ما) في الخطّ فكتبت (مهما) حرفًا واحدًا, فلذلك وصلا في الخطّ كما يوصل غيرها من الأسماء في الخطّ, نحو: ثلاثمائة وأربعمائة, وكلّهم وكلّهن(٥٢), وكان هذا سببًا لإمالة قتيبة(٥٣).

الثاني: فهو قول النحويين: "إن الأصل في (مهما) (ما ما) إن (ما) الأولى للشرط, و(ما) الثانية هي التي تزداد توكيدا للشرط, في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ﴾ ﴿الإسراء: ٢٨﴾, ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ﴾ ﴿البقرة: ١٤٨﴾, ولكن أبدل في الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ"(٥٤), وهذا ما جاء به الخليل, وأبدلت الألف هاء لقربها منها كما قالوا: إياك هياك, وأرقت هرقت, وقالوا: أنا وأنه(٥٥).

وأبو عمرو الداني لم يوافق قتيبة ويرى أن كلامه ليس بمستقيم من أوجه عدة نقلها علم الدين موضحًا لكلّ وجه منها, وهذه الوجوه هي:

الأول: "إنَّ اللفظ والخطّ بخلافه, إذ الهاء بينهما لا الألف"(٥٦), و ذهبوا إلى أنَّ الأصل "ما ما" ثم قلبوا ألف (ما) الأولى هاء, ولو كانت بينهما الألف لكان هو اللفظ الذي فروا منه(٥٧).

والثاني: "عدول عن النطق الذي قد أمرنا بالتمسك به, وألزمنا اتباعه من غير ضرورة تدعو الى خلافه, إذ المعنى مستقيم على ما ذكرناه فيه. ويزيده بيانا قوله تعالى: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ ﴿إبراهيم: ٩﴾ قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أنهم قالوا لهم اسكتوا, أفلا ترى إلى قرب اسكتوا من اكفف التي هي بمعنى مه"(٥٨)

ردّ علم الدين مضعفًا هذه النقطة بقوله: "أضعف من قوله السابق لأنه لم يؤمر بأن يقول: (ما ما) وإنما قيل له: كان أصل ذلك, ولا يقال لمن قال: كان الأصل استقام: استقوم, إن هذا عدول عن لفظ استقام, فإن قيل: أراد أبو عمرو أن تقديره الذي قدره أولى من تقدير غيره, لأنه تقدير مع بقاء اللفظ على ماهو عليه, وتقدير غيره إخراج له عن ذلك فلا يؤاخذ بتقصير العبارة. قيل: لو صحّ ما قدره كان ذلك, ولكن هذا اللفظة قد استعملتها العرب في مواضع لا يصح فيها (مه) أي اكفف, كما قال زهير(٥٩):

فلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما فِي صُدُورِكُمْ ... لِيَخْفَى , وَمَهْما يَكْتم اللهُ يُعلَمِ

وقوله(٦٠):

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرئٍ مِنْ خَلِيقةٍ ... وَإنْ خَالها تَخْفَى عَلى النَّاس تُعلَم"(٦١)

وقول امرئ القيس[٦٢]:

أغَــرّكِ منّــي أنّ حُبّــكِ قــاتلِي وأنّـكِ مَهْمـا تـأمري القلـبَ يَفْعَـلِ

وهـذا مـا يؤكـد أن (مهمـا) كلمـة مسـتقلة بـذاتها, ولـيس مجـزّأة الأصل.

الثالـث: هـو اخـلال بـالمعنى لأنـه حمـل كـل واحـدة مـن الكلمـتين علـى فائـدة مجـردة قائمـة بنفسـها كمـا بيّنـاه, وهـذا أوْلى مـن حمـل إحـداهما علـى الزيادة للتأكيد[٦٣].

قـال علـم الـدين في هـذا الوجـه: "والجـواب علـى هـذا أنـا قـد بيّنـا أن حمـل مهمـا علـى (مـه) بمعنـى اكفـف, و(مـا) علـى الشـرط لا يصـحّ كمـا ذكرنـاه في شـعر زهـير, ويقـال لـه: وفي حملـها علـى مـا ذكرتـه مجـردة للشـرط, والثانيـة مجـردة للتأكيـد, فلـيس الحمـل علـى مـا ذكـر لـو صـحّ الحمل عليه بأولى من الحمل على ماذكره الخليل رحمه الله"[٦٤]

الرابـع: حكـى الكوفيـون (مهمـن) في (مهمـا), فكمـا في (مهمـا) اسـم وليست بحرف زائد للتوكيد[٦٥], لذلك تكون (ما) في (مهما).

"هـذه الروايـة إن صـحت فهـي دليـل علـى قـول الخليـل رحمـه الله, لأن (مـا) للشـرط زيـدت عليهـا (مـن) الشـرطية للتأكيـد, ألا تـرى أنـك تقـول: مهمـا تصـلّ فـاذكرني في صـلاتك, ولـو قلـت: مهمـن تصـلّ فـاذكرني في صـلاتك علـى أن تجعـل (مـن) للشـرط, و(مـه) بمعنـى اكفـف لم يصـح ذلك، فدلّ على أنها زائدة للتأكيد"[٦٦].

الخـامس: اسميـة (مهمـا)؛ لأنهـا قبلـت الإمالـة, وأنكـر ذلـك علـم الـدين لجـواز إمالـة الحـرف كمـا روي إمالـة (حتـى) عـن الكسـائي, وقـرأ (بلى) بالإمالة[٦٧].

وقـد وافـق علـم الـدين مـن قـال بحرفيـة (مهمـا), وأكـد إمالـة الحـروف بما وصل إليه من روايات في ذلك.

ولم نفصل كثيراً في موضوع الإمالة, وإنما اقتصرنا على ما وضّحه علم الدين من تعريف لها, وبيان الفرق بينها وبين الفتح, ثم بيان الإمالة في الأسماء والحروف.

الخاتمة

- إنّ الإمالة ليست ظاهرة صوتية عامة بل تغيّر صوتي يختص ببعض القبائل العربية.
- إنها ظاهرة تعتمد اعتماداً كبيراً على النطق فلا تبان في الكتابة.
- تساوي الفتح والإمالة عند علم الدين السخاوي ولا فرق بينهما من حيث الأصالة والأولوية.
- أكد على إمالة الحروف ولاسيما إمالة (مهما), وأكد أيضًا على حرفيتها, وعارض من قال باسميتها.

هوامش البحث

(١) إتحاف فضلاء البشر:٢٤٧/١, وينظر: النشر:٢٩/٢.

(٢) ينظر: لسان العرب:٦٣٦/١١.(ميل)

(٣) المقتضب: ٤٢/٣, وينظر: الجمل في النحو: ٣٩٤, والمفصل في العربية:٣٤٥.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه:١١٧/٤، واللمع في العربية:٣١١.

(٥) التبصرة:٣٧٠,٣٧١.

(٦) ينظر: الإمالة في القراءات واللهجات:٧٦.

(٧) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥٠١/٢, وينظر: كتاب سيبويه: ١٤/٢ , والفتح والإمالة: ١٤.

(٨) ينظر: الإمالة في القراءات واللهجات:٧٥ , ٧٦ .

(٩) في اللهجات العربية:٦٤.

(١٠) تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائيّ (بحث), سمير شريف ستيتية:١٠٧ , ١٠٨.

(١١) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥٠٠/٤, وينظر: الفتح والإمالة:١٣.

(١٢) الكشف:١٦٨/١.
(١٣) ينظر: جمال القرّاء وكمال الإقراء:٤٩٩/٢, والمقنع:٦٠.
(١٤) الفتح والإمالة: ١٣.
(١٥) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥٠٠/٢.
(١٦) في اللهجات العربية:٦٦.
(١٧) ينظر: الفتح والإمالة:١٥, والإتقان:٥٨٦/٢.
(١٨) المصدر نفسه: ١٥, ينظر: الموضح في وجوه القراءات: ٢٤, وينظر: رسم المصحف دراسة لغوية:٣١٦.
(١٩) الفتح والإمالة:١٦.
٢ ينظر: جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥٠٤/٢.
(٢١) الفتح والإمالة:١٣.
(٢٢) طيبة النشر:١١٥, وينظر: إتحاف فضلاء البشر:٢٤٧/١.
(٢٣) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥٠٠/٢.
(٢٤) ينظر: الفتح الإمالة:١٣, وإتحاف فضلاء البشر: ٢٤٧/١.
(٢٥) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥٠٠/٢, وينظر: الفتح والإمالة:١٤، والنشر:٣٠/٢.
(٢٦) ينظر: حاشية الصبّان:٣١٠/٤, وهمع الهوامع:٢٠٠/١.
(٢٧) النشر:٣٥/٢.
(٢٨) ينظر: الكشف:١٧٠/١.
(٢٩) النشر:٣٢/٢.
(٣٠) ينظر: حاشية الصبّان:٣١١/٤.
(٣١) كتاب سيبويه:١٢٩/٤، وينظر: الجمل في النحو:٣٩٤.
(٣٢) ينظر: المقتضب:٤٦/٣.
(٣٣) ينظر: كتاب سيبويه:١٣٦/٤, وحاشية الصبّان:٣١٧/٤.
(٣٤) ارتشاف الضرب:٥٢٤/٢،٥٢٥.
(٣٥) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥١٠/٢, وينظر: الحجة في علل القراءات: ١٦٩/٣.
(٣٦) ينظر: الفتح والإمالة:٢٧١.

(٣٧) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥١١/٢, و كتاب سيبويه: ١٩٥/٢, والفتح والإمالة :٢٧١.

(٣٨) المصدر نفسه: ٥١٢/٢.

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه:٥١٢/٢, والفتح والإمالة :٢٧١.

(٤٠) المصدر نفسه:٥١٢/٢, وينظر: السبعة:١٤٩.

(٤١) ينظر: المصدر نفسه:٥١٢/٢, والفتح والإمالة:٢٦٧.

(٤٢) ينظر: المصدر نفسه:٥١٩/٢.

(٤٣) ينظر: شرح المفصل:٥١٩/٩.

(٤٤) ينظر: النشر: ٦٦/٢-٧٠, والنجوم الطوالع على الدرر اللوامع:١١١.

(٤٥) الكشف: ١٨٦/١-١٨٧.

(٤٦) ينظر: جمال القرّاء وكمال الإقراء:٢/ ٥٠٩

(٤٧) الحجة في علل القراءات:١٦٨/٣-١٦٩.

(٤٨) كتاب سيبويه:١٣٥/٤.

(٤٩) شرح المفصل:٦٥/٩.

(٥٠) ينظر: الفتح والإمالة:٢٧٣.

(٥١) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥٢٠/٢.

(٥٢) ينظر:المصدر نفسه:٢/ ٥١٥, ٥١٦.

(٥٣) قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن الأزاذاني, أمام مقرئ من أصبهان, توفى بعد المائتين, ينظر: الثقات: ٢٠/٩.

(٥٤) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥١٦/٢, وينظر: إعراب القرآن:٣٢٠, وتهذيب اللغة:٢٤٠/٤.

(٥٥) ينظر: شرح اللمع في العربية:٣٠٥.

(٥٦) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٥١٦/٢, والفتح والإمالة:٢٧٧.

(٥٧) المصدر نفسه: ٢/ ٥١٦,

(٥٨) المصدر نفسه: ٥١٦/٢, ٥١٧, وينظر: الكشّاف:٥٤٦/١٣.

(٥٩) ينظر: ديوان زهير:١٠٧.

(٦٠) ينظر: المصدر نفسه: ١١١.

(٦١) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٢/٥١٧.
(٦٢) ينظر: ديوان امرئ القيس:١٣.
(٦٣) ينظر: جمال القرّاء:٢/٥١٧, والفتح والإمالة: ٢٧٨.
(٦٤) المصدر نفسه: ٢/٥١٥.
(٦٥) ينظر: تهذيب اللغة: ٤/٢٤١.
(٦٦) جمال القرّاء وكمال الإقراء:٢/ ٥١٨.
(٦٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢/٥١٩.

قائمة المصادر والمراجع

- المصحف الشريف
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (مُنتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات), العلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا(١١١٧هـ), ت: الدكتور شعبان محمّد إسماعيل , عالم الكتب , بيروت, مكتبة الكليات, القاهرة, ط١, ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الإتقان في علوم القرآن , للحافظ جلال الدين أبي بكر السيوطي(٩١١هـ), تحقيق: مركز الدراسات القرآنية, مجمع الملك فهد , المدينة المنورة , ١٤٢٦هـ.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب, أبي حيان الأندلسي(٧٤٥هـ), تحقيق: د. رجب عثمان محمّد , راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط١, ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- إعراب القرآن, أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ), اعتنى به : الشيخ خالد العلي , دار المعرفة , بيروت, ط٢, ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- التبصرة في القراءات السبع, الإمام المقرئ أبي محمّد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ), تحقيق: الدكتور المقرئ محمّد غوث الندوي, الدار السلفية, ط٢, ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

- تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي, سمير شريف ستيتية, مجلة الملك سعود, م٦, الآداب(١), كلية الآداب, جامعة اليرموك, الأردن, ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- تهذيب اللغة, أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ), إشراف محمّد عوض مرعب, علّق عليه: عمر سلامي, عبد الكريم حامد, تقديم: أ. فاطمة محمّد, دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, ط١, ٢٠٠١م.
- جمال القرّاء وكمال الإقراء, علم الدين عليّ بن محمّد السخاوي(٦٤٣هـ), ت: د. عليّ حسين البوّاب, مكتبة التراث, مكة المكرمة, ط١, ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.
- الجمل في النحو, أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي(٣٤٠هـ), حققه وقدّم له: الدكتور عليّ توفيق الحمد, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط١, ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- حاشية الصبّان على شرح الأشموني, الشيخ محمّد بن عليّ الصبّان الشافعي (ت١٢٠٦هـ), تحقيق: إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط١, ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- الحجّة في علل القراءات السبع, أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي(٣٧٧هـ), تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد المجود, الشيخ عليّ محمّد معوّض, شارك في تحقيقه: الدكتور أحمد عيسى حسن المعصراوي, الدار الكتب العلمية' بيروت, ط١, ٢٠٠٧م.
- ديوان امرئ القيس, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, القاهرة, ط٤.
- ديوان زهير بن أبي سلمى, شرحه وقدم له: أ. علي حسن فاعور, دار الكتب العلمية, بيروت– لبنان, ط١, ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية , الدكتور غانم قدوري الحمد, العراق, ط١, ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢.

- السبعة في القراءات, ابن مجاهد(٣٢٤هـ), ت: د. شوقي ضيف, دار المعرف, مصر, ١٩٧٢م.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر, الإمام شهاب الدين ابن الجزري الدمشقي(٨٣٥هـ), ضبطه وعلّق عليه: الشيخ أنيس مرة, دار الكتب العلمية, بيروت, ط٢, ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح المفصل, العلامة ابن يعيش النحويّ(ت٦٤٣هـ), إدارة الطباعة المنيرية, مصر.
- الفتح والإمالة, أبي عمرو الداني, تحقيق وتخريج وتعليق: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي.
- في الدراسات القرآنية واللغوية الإمالة في القراءات واللهجات العربية, الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي, دار الهلال , بيروت, ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- في اللهجات العربية, الدكتور إبراهيم أنيس, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, ط٨, ١٩٩٢م.
- كتاب سيبويه, أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر, ت: عبد السّلام هارون, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط٤, ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, العلامة جار الله الزمخشريّ(٥٣٨هـ), ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود , الشيخ عليّ محمّد معوّض, أ.د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي, مكتبة العبيكان, الرياض, ط١, ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- الكشف في وجوه القراءات السبع وعللها وحججها, أبي محمّد مكي بن أبي طالب القيسي(٤٣٧هـ), ت: د. محيي الدين رمضان, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط٣, ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- لسان العرب, الإمام أبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ), دار صادر, بيروت.

- اللمع في العربية, أبي الفتح عثمان ابن جني (٣٩٢هـ), ت: فائز فارس, دار الكتب الثقافية, الكويت.
- المفصل في العربية, أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشريّ(٥٣٨هـ), دراسة وتحقيق: الدكتور فخر صالح قدارة, دار عمار, عمان, ط, ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- المقتضب, أبي العباس محمّد بن يزيد المبرد(٢٨٥هـ), ت:محمّد عبد الخالق عضيمة, القاهرة,١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار, الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ), ت:محمّد صادق قمحاوي, مكتبة الكليات الأزهرية ,القاهرة.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها, الإمام نصر بن عليّ بن محمّد الفارسيّ النحويّ(ت٥٦٥هـ), تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي, الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم, جدة, ط١, ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع, العلامة الشيخ سيدي إبراهيم المارغني, دار الفكر.
- النشر في القراءات العشر, ابن الجزريّ محمّد بن محمّد الدمشقيّ (٨٣٣هـ), راجعه: عليّ محمّد الضّباع, دار الكتب العلمية , بيروت- لبنان.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع, جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ), عنى بتصحيحه السيد محمّد بدر الدين النعساني, دار المعرفة, بيروت- لبنان.